رمضان كريم

العدد (1894) السنة الثامنة
الاثنين (30) آب 2010

http://www.almadapaper.com
E-mail: almada@almadapaper.com

2 رمضان في اليمن

3 سكان الانبار يستعيدون ذكرياتهم الرمضانية

4 مخرجون ومؤلفون ينزعون عباءة السينما

رمضان في بغداد..ذكريات من أيام مضت

تصوير : احمد عبدالله

عبد الكناني
باحث ومؤرخ

اندثر كثير من معالم شهر رمضان في بغداد مع مرور الزمن، وليس هذا حال العراق وحده، بل هو أمر مألوف اليوم في العالم الإسلامي كله، ولعل من اهم هذه المظاهر او المعالم الدينية المتوارثة التي تتميز بها مدن العراق

وكما كانت بغداد أكبر مدن العراق مركز إشعاع للفكر الإسلامي الوضاء منذ أقدم العصور، فما زالت على عهدنا بها حيث مجالس الأدب والمناظرات في كل مساجدها، بل وحيث ينفق المال بسخاء على الفقراء والمحتاجين طوال ايام شهر رمضان من الهبات التي يجمعها الأهالي بخاصة لهذه الأغراض السامية.ولنترك المساجد جانباً لنزور المدينة في شوارعها ومنازلها وقد زينتها الأنوار وغلقت مطاعمها ومقاهيها حتى مدفع الإفطار، ومن عادات اثرياء العراق وأعيانها ان يفتحوا دورهم للفقراء والمساكين لكي تقام لهم المآدب طوال ايام شهر رمضان. كما ان هناك عادات إسلامية توارثها ابناء العراق، فهم عادة ما يبدأون إفطارهم بتناول حبات من التمر واللبن سنّة عن رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – ثم يتناولون اطعمتهم الأخرى التي تحفل بأنواع اللحوم وما إليها.وما ان ينتهي الإفطار حتى تحس بالفرحة تعم في كل مكان في ارجاء العراق تتمثل في خروج الأطفال الى الشوارع يغنون ألحانا بغدادية شعبية، تشبه الموشحات حتى وقت السحور، حيث ينطلق المسحّرون بألحانهم ليوقظوا بها الناس.

ومن هذه الألحان ما هو شائع بين الأهالي، تقول إحدى هذه المقطوعات مثلاً:

ما زال برك يزيد..
دايم وباسمك شديد
ولا عدمنا نوالك..
في كل فطر وعيد...

وهكذا تمتلئ كل بلاد العراق بالأنغام العذبة في كل سحور وحتى يؤذن للفجر، حيث ترتفع الحناجر على المآذن معلنة الإمساك عن الطعام وبدء صيام يوم جديد من ايام رمضان.ولتمضي ايام رمضان ونمضي معها حتى ليلة منتصفه لنرى الاحتفالات التي تظل حتى آخر الشهر، كما نرى حفلا يتميز عن كل الاحتفالات وهو الاحتفال بليلة القدر، ليلة السابع والعشرين من رمضان.وكان أهل العراق يُخرجون زكاة الفطر في صبيحة اول ايام عيد الفطر حيث نرى شيخ كل اسرة عراقية وقد جمع زكاتها ثم يأخذ في توزيعها على الأسر الفقيرة المجاورة.

من اوراق التراث

وبالعودة الى التراث الإسلامي، تبدو حياة العامة في بغداد أكثر نصيباً من غيرها في أحاديث المحدثين وروايات الإخباريين، فقد افاض هؤلاء في وصف أحوالها مع حلول رمضان من كل عام، خصوصاً في تلك العهود الغابرة، ولا غرو، فبغداد تلك الحاضرة العريقة كانت قد أرست تقاليد عريقة لدى الخاصة والعامة.

ووصف ابن الكازورني ليالي رمضان البغدادية فقال عنها: «ان ليالي الصيام المشرقة بالمصابيح والمساجد منيرة بالصلوات والتراويح، اما العوام فكانوا ينكبون على الملاذ والغناء والفرح الى منتهى العشاء...ثم ترفع قناديل الشحير، وكانت دار الخلافة تضاء بالأنوار ويتعالى منها التكبير».«وعصر كل يوم من أيام رمضان، يجتمع أهل بغداد كاجتماعهم في الأعياد ويخرجون في دجلة بالطيارات والزبازب والسميريات، كل إنسان بحسب قدرته، ويتنافسون في ما بينهم.

وعند قدوم المساء، كانت تشعل النيران والمصابيح الفخمة في السميريات والزوارق، وعلى كل زورق قبة كبيرة. وبعد الإفطار يخرج أهل بغداد للفرجة، فيسهرون على الشواطئ وتُزيَّن دجلة بإشعال النار، ويُظهر أصحاب الشأن من الحكام وغيرهم زينتهم ويُحَملون السفن بأنواع الألعاب المسلية، ومنها المصابيح...وداخل البيوت البغدادية أو في حوانيتها الواسعة، وعلى دكك أسواقها وتحت أقبيتها التي كانت ينتدي إليها العامة عقب صلاة العصر أو بعد صلاة التراويح، كان الناس يمارسون هوايات مختلفة، يتسلون بها لقضاء أوقات الفراغ، بعد انقطاعهم عن مزاولة الأعمال اليومية المرهقة، واعتزالهم العمل إلا ما كان سهلاً ولا يستدعي مشقة كبيرة".

والكلام عن موائد العامة في رمضان كثير، حديث يلذ للكثيرين، إذ ما زالت روائح الأفاه والأطايب تعبق بعشرات المصنفات التي تحدث عنها المؤرخون والرحالة واصفين مآدب رمضان العامرة وصنوف الأطعمة البغدادية، وتنوع الخبز في بغداد، فقد عرف البغداديون خبز الرز وخبز الشعير وخبز الذرة والعدس والفول.

أما خبز الحنطة فكان من أرقى أنواع الخبز ويأخذ أشكالاً مختلفة على المآدب الرمضانية.فهناك الرغيف والجردقة والقرص أو القرصة والرقاق، كما أن هناك خبز التنور وخبز الفرن وخبز الطابق وخبز الملة والبرازيدق والفطير.

وفي مطلع القرن العشرين بدأت بغداد تشتهر بالمقاهي التي أخذت تنتشر في كل مكان من نواحيها، وقد تحولت في فترة قصيرة الى نواد اجتماعية يلتقي فيها الأدباء والشعراء والتجار والموظفون والعمال من ذوي المهن المختلفة.وكان عدد كبير منهم يلتحق للعب بالنرد، والدومينو، والمنقلة.وهذه اللعبة الأخيرة خاصة بالبغداديين.وكانت هذه المقاهي ترتدي في رمضان حلة أخرى، فتكف في النهار عن الملاهي البسيطة تعففاً، وحرمة لشهر رمضان...

أما في الليل فيحضر عازف الرباب ليُسلّي رواد المقهى في الأمسيات الرمضانية بأنغامه الشجية، كما يحضر القصاصون، إذ كانت للقصاص مكانة مرموقة، حيث يُمتع الرواد بالقصص والأساطير المسلية.ويعتبر مُلا إبراهيم الموصلي المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ، وابنه مُلا خضر المتوفى سنة ١٩٠٢م.من أشهر قصاصي بغداد.

ومن المقاهي التي اشتهرت في بغداد مقهى السبع ومقهى وهب ومقهى عزاوي.وجميعها في محلة الميدان قرب باب المعظم.وقد اختص مقهى عزاوي بعرض ألعاب القراقوز طوال شهر رمضان.وكان يتحول الى مقهى شعبي، أما مقهى «القراء خانة» وهو مقهى عثمان، فكان يقدم الشاي والقهوة مساء...أما في صباح رمضان، فكان الزبائن يقرأون الصحف التركية الواردة من اسطنبول.

وقد عرف أيضاً من المقاهي المميزة في مطلع القرن الماضي مقهى مميز قرب المدرسة المستنصرية.وكان يغني فيه في رمضان مطرب المقاهي العراقي المعروف أحمد زيدان.أما مقهى العنبار، فكان رواده من التجار.كذلك فإن مقهى التبانة كان يقدم العروض الهزلية التي تسلي الصائمين.

رمضان والصيف والفقراء

كاظم الجماسي

في الامثال الشعبية العراقية يشيع المثل القائل(الصيف ابو الفقير)..وذلك بالاستناد الى ان الفقير لن يحتاج في ايام الصيف الى الكثير من الملابس والمحروقات وعلاجات الانفلونزا، والتي تأتي في سلم اولويات احتياجات الناس في فصل البرد والامطار، فصل الشتاء،وذلك لتوفير الحد الادنى من الدفء والحد الادنى من الصحة البدنية لهم ولاطفالهم، الامر الذي يصح الى حد بعيد، غير ان صيفنا هذه الايام يشذ عن تلك القاعدة، سواء في بغداد او في المحافظات، والذي لا يمكن وصفه الا بكونه غير انساني بالمرة، فقد تظافرت جملة احوال لجعله كذلك، فمن اين يتلقاها الفقير، وهو الشريحة الاعظم عددا من سكان العراق، أيتلقاها من بعض النخب السياسية غير الراشدة، وهي لاهية بصراعاتها الانانية للفوز بالصولجان؟ ولاترد على خاطرها مكابدات الناس الشديدة القسوة، ام يتلقاها من غضب الطبيعة المسلط بسموم جو الصيف الفائر بالحر؟ ام بالتزامه الديني في تأدية فرض الصوم في شهر رمضان؟

جاري ابو جاسم يبلغ من العمر اثنين وخمسين عاما، واب لخمس بنات وولد واحد صغير السن، حاول ابو جاسم المستحيل لأن يجد له فرصة للتعيين على ملاك الدولة، ولم يفلح، كان يجابه على الدوام بكبر سنه.. ولم يكن بيده ليحصل على قوت بناته اليومي سوى ان يمتهن (العمالة)، تلك المهنة التي تعد مضربا للمثل في القسوة والانهاك الجسدي، وصادف ان رأيته وانا مقبل على البيت، بعد نهاية الدوام، رجلا مكدودا محني الظهر، وثيابه الرثة ملطخة ببقايا الجص، نتبادل التحية سريعا، ومن ثم يدلف كل منا الى بيته..واحاول ان استرجع كيف انقضت ساعات عمل (ابو جاسم) الثقيلة في هذا الصيف اللاهب، والرجل صائم.

اما ابو منتظر جارنا الميسور، يمتلك عمارتين واكثر من مورد رزق، راتب تقاعدي، ثلاث سيارات اجرة، ولديه موظفون، باختصار(الله فاتحها عليه)، فكنت اراه بدشداشته البيضاء ومسبحته الطويلة وعلائم العافية والراحة تفيض فوق وجهه، يمسك صوندة الماء قبل موعد الفطور بساعة، يرش الرصيف امام واجهة بيته، يرواغ الدقائق القليلة المتبقية ليثور مدفع الافطار..واحاول ان استرجع كيف مرت عليه ساعات النهار، والرجل صائم.

وبمسحة بسيطة لضيم ناسنا المساكين، يتضخم السؤال عن كيفية مرور الساعات الشديدة الوطء على الحمالين المنتشرين بالمئات في اسواق الجملة، يدفعون عرباتها المختلفة الاحجام، فارغة او محملة، تحت خناجر اشعة الشمس التي تخترق يافوخ الواحد منهم بلا ادنى رحمة، والناس صيام.

وعلى هذا المنوال نستطيع تعداد الكثير من المهن المرهقة الشديدة البأس على اجساد ملايين الفقراء المنتشرين في الارض بحثا عن قوت يومهم..من مثل الحدادين والنجارين وباعة البسطات على الارصفة وشتى اصناف الباعة المتجولين والفلاحين والحدقجية والسواق العمويين والكثير من المهن المرهقة الاخرى التي لا تسعفنا الذاكرة بإيرادها..والناس صيام.

وتمضي ايام صوم رمضان الشاقة، تغذي مشقتها روافد عدة لعل انقطاع التيار الكهربائي، وارتفاع اسعار المواد الغذائية الاساسية، وغياب مفردات الحصة التموينية وسوء الاوضاع الامنية المقلقة، وغيرها من الروافد التي كلها تحسب بكفة، ولعبة القط والفأر في تأخير تشكيل حكومة وطنية تتوفر على الاحساس بمعاناة الناس.. ورمضان كريم.

طقوس المحبة في رمضان الناصرية

الناصرية/ سومريون.نت

تتزامن مع ساعات وأيام شهر رمضان الفضيل إحياء العديد من العادات والتقاليد الاجتماعية والطقوس الدينية في مدن العراق، ومنها مدينة الناصرية بمحافظة ذي قار، بيد إنها تختلف باختلاف الأماكن والأزمنة في مناطق البلاد، وان كانت تحمل المضمون نفسه من خلال إقامة المناسبات وخاصة الدينية منها، والمجالس الحسينية، وخصوصا إقامة احتفالية ولادة الأمام الحسن (ع) في الخامس عشر من شهر رمضان، إضافة إلى الذكرى الأليمة لوفاة إمام البلغاء علي بن أبي طالب (ع) الذي قتل على يد الملعون بن ملجم في الحادي والعشرين من الشهر، و هناك مناسبة لها من القدر والمكانة العظيمة الا وهي أحياء ليلة القدر المباركة التي هي خير من ألف شهر والتي تصادف في الثالث والعشرين من شهر رمضان، ويقوم المؤمنون بالمدينة باحيائها بالصلاة والقيام والأدعية والأذكار لله عز وجل.

أجرينا بهذه المناسبة تحقيقا مع عدد من شرائح المجتمع المختلفة حول الممارسات والطقوس الرمضانية التي يمارسها أبناء مدينة الناصرية خلال ايام شهر رمضان الكريم، الحاج جبار سلمان أوضح"أن الوقت في شهر رمضان المبارك وقت ثمين للعبادة والصلاة والتقرب الى الله سبحانه وتعالى، لأن الأجر والثواب فيه يتضاعف للمؤمن الذي يقضي ليله في القيام والدعاء، كما أن على الصائم اغتنامه والاستفادة من أيامه ولياليه ليخرج بصفات حميدة تترسخ عبر ثلاثين يوما، وعليه فأن تنظيم الوقت يعد واحدا من الدروس والعبر والقيم التي يجب أن نتعلمها في شهر رمضان، لأن طبيعة هذا الشهر تفرض علينا مواعيد محددة كالسحور والإفطار والصلاة، وكنا نعتمد على تناول السحور بأوقات تقريبية لكون لاتوجد معلومات موثقة عن إمساكية رمضان حينها، إلا اننا نعتمد الخبرة في معرفة الوقت وهذا من شأنه ان يديم عملية التزامنا بالمواعيد باقامة صلاة الفجر".

ويقول محمد شريف"ترافق ساعات الإفطار في مدينة الناصرية مراسم وطقوس خاصّة بها، حيث يجتمع الأهل والأقارب لتناول الإفطار في بيت الوالد أو الأخ الأكبر في كثير من الأحيان، والتي تستمر لوقت متأخر من الليل، وأشهر الاكلات التي يتناولها العراقيون في رمضان هي الهريسة العراقية المغطاة بالقرفة(الدارسين)، والهيل والسمن أو الزيت؛ والكبة الحلبية، إضافة إلى الدولمة وهي أحد أنواع المحاشي، التي تبدع المراة،وخاصة النساء امهات البيوت اللواتي يطلق عليهن هذه التسمية في العوائل العراقية في الناصرية، بسبب عملها باحسن وجه حيث تكون مضرب الامثال في اعداد وجبة شهية من اكلة (الشيخ محشي)، اضافة الى تسميات اخرى بمناطق متعددة من مناطق ومدن العراق".

ويوضح الأديب حسن الحمادي قائلا"أن رمضان في مدينة الناصرية له طعم خاص فهو يمثل فرصة لاقامة الجلسات الأدبية والمطارحات الشعرية، التي تبرز مشاركات ادباء المدينة وشعرائها لاحياء هذه الليالي الكريمة، والمشاركة بالأمسيات الرمضانية التي تقام على مستوى المناطق السكانية والتزاور فيما بين ابنائها، وتبرز المشاركات الفاعلة في الجوانب الأدبية والثقافية، ومن الامور الانسانية والخيرية التي تتم هي تجميع مبالغ لمساعدة العوائل الفقيرة والمتعففة بالمناطق من خلال فتح صندوق للتبرعات توزع عليهم أواخر الشهر الكريم لتغطية نفقاتهم خلال ايام عيد الفطر المبارك".

وتبقى لعبة المحيبس من بين العادات التي يمارسها العراقيون (سواء أكانوا أطفالا أم شبابا) في ليالي رمضان،يقول محمد عبد الجبار"تضم هذه اللعبة التراثية التي تمارس خلال ايام هذا الشهر الفضيل في مناطق وحارات المدن العراقية ومنها الناصرية، فريقين من الرجال، يقوم أحد أفراد الفريق الأول بإخفاء خاتم بإحدى يديه، فيمد جميع أفراد الفريق أيديهم مقبوضة، ليحزر أحد أعضاء الفريق الآخر في أية يد يوجد الخاتم، فإن نجح في ذلك أخذ الخاتم لفريقه ليقوموا بنفس العملية".

هذه اللعبة يتخللها تناول المشروبات والمرطبات، والحلوى التي تعد خصيصًا لمثل تلك الليالي الرمضانية، كما تخصص للفريق الفائز هدايا معينة، وهناك أيضا لعبة الفنجان وهى عبارة عن (صينية) مدوّرة توضع عليها فناجين القهوة ويوضع في إحداها حبة صغيرة، ومن يعرف الفنجان الذي توجد فيه الحبة يكون هو الفائز خلال اللعبة.

فيما يستذكر الشيخ محمود احمد، بان المؤمنين بالمدينة يهتمون كثيرا بإحياء العشر الأواخر من شهر رمضان، وخاصة ليلة القدر وذلك لقضائها في الصلوات والادعية الى الصبح، كما تكثف الاستعدادات من قبل الناس في الثلث الأخير من شهر رمضان، اضافة الى احياء الذكرى الاليمة لوفاة امام البلغاء علي بن ابي طالب عليه السلام. كما تقام قبل ذلك ذكرى احتفالية ولادة الامام الحسن المجتبى ابن الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، اضافة الى الاستعداد لاستقبال عيد الفطر المبارك من خلال تزيين البيوت لاستقبال المهنئين من الأقارب والأصدقاء.

ويتم أيضا تجهيز ألعاب الأطفال في الساحات والحدائق، ناهيك عن إعداد الحلوى، والعصائر، والمكسرات التي تقدم للضيوف والزوار، على الرغم من جراحات الشعب العراقي المثخنة التي لا تمنعه على الإطلاق من الحفاظ على مجموعة من الطقوس والعادات الرمضانية، التي يتفرّد بها عن الكثير من الدول العربية والإسلامية الأخرى، والتي تبدأ قبل أيام قليلة من بداية الشهر المبارك، ولا تنتهي إلا مع آخر ساعاته.

ويذكر علي ناجي"ان رمضان وعيد الفطر المبارك تعدان مناسبة جيدة لإنهاء الخلافات بين العوائل والأشخاص وغسل النفوس من الضغائن، حيث تبادر الوجوه المعروفة والشخصيات البارزة في المجتمع لحل المشاكل التي تحدث خلال الأيام التي تسبق الأعياد، حيث يتصالح الخصوم وتعود روح الإخوة والتسامح، وتبدأ صفحة جديدة يكون أولها مبارکة العيد، كما يكون العيد فرصة طيبة لإتمام حفلات الخطوبة والزواج لتكون الفرحة مضاعفة ومذكورة، وتؤرخ الكثير من الحوادث المهمة لأبناء هذا الوطن لاقتران حدوثها في العيد حيث تبقى متداولة في ذاكرتهم بشكل دائم.

رمضان في العالم